

ورقة الأيام الوطنية السادسة والعشرين

في موضوع:

تدبير المجالات الرعوية بالمغرب واستغلالها: مقارنة التاريخ والعلوم الاجتماعية

بني ملال: أواخر أكتوبر 2021

=====

تبيّن من خلال عديد الدراسات الترابط الوثيق بين المستوى الإيكولوجي والبنية الاجتماعية في بلاد المغرب، حيث يصعب فهم طبيعة العلاقات الاجتماعية دون ردها إلى ما يقابلها على مستوى مورفولوجية الأرض، أي بمقدار ما تتغير معالم الأرض تقلّ مواردها أو تكثر. وقد شكلت الأرض على امتداد تاريخ المغرب القاعدة المادية لتكتل الأفراد وتضامنهم في إطار القبيلة، حيث درجت مختلف الجماعات القبلية على التفاعل مع الإمكانيات الطبيعية لوسطها. واعتباراً لتباين إمكانيات هذا الوسط بين القحولة في الجنوب والحمادات والهضاب العليا، والندرة والضعف في الجبال والواحات، والوفرة في بعض السهول، فقد اختلفت تبعاً لذلك أنماط العيش وتنوعت؛ فكان الرعي أساسياً في كثير من المجالات، وريفاً للزراعة في بعضها، وعنصراً يهدد الزراعة في أوقات الشدة والجفاف، حيث تضطر القبائل الرعوية إلى اكتساح المجالات الخصبة بحثاً عن الكأ والماء.

وعلى هذا الأساس، اعتبر الرعي إلى جانب الزراعة من بين الأنشطة الأكثر ممارسة بالمغرب منذ الفترة القديمة إلى الوقت الحاضر، وأسهم ميل كثير من القبائل إلى التنقل بحثاً عن المراعي الخصبة في إحداث تحولات كبرى على مستوى مورفولوجية السكان وأنماط العيش، بل وعلى المستوى السياسي أيضاً، حيث كان لتحركات بعض القبائل وانتشارها بالغ الأثر في تغيير ملامح الدولة والمجتمع بالمغرب. وإلى جانب ما دُكر، لطالما عبّر الرعي، المرادف للترحال، عن الحرية في التحرك واستغلال المجال، فالانتجاع يفرض على القبائل التنقل المستمر، وهو ما يغذي الصراع الدائم بين الرّحل والمستقرين، صراع تكون فيه الغلبة للرّحل في كثير من الأحيان، لقدرتهم على التنقل السريع وشنّ هجمات مباغتة على المستقرين. كما ينشأ صراع بين الرّحل أنفسهم. وكان الرعي، ولا يزال، قطب الرعي في حياة أهل السهول والمرتفعات على السواء، فمن خلاله تظهر قوة الروابط والعلاقات بين أفراد المجموعة البشرية، فالمجتمع الرعوي يعني نمطاً من التنقل والعيش والعلاقات الاجتماعية. إذ يستلزم الانتقال إلى

مناطق يتوفر فيها الكلاً، مما يستدعي اقتحام مجالات غير مجالات صاحب الماشية، الشيء الذي يفرض ربط علاقات بين القبائل المعنية بالأمر.

حظيت المجالات الرعوية بنظام تسيير وتديير شهد تغيرات مستمرة على امتداد تاريخ المغرب إلى اليوم، ففي كثير من فترات هذا التاريخ، كانت القبائل تسنّ أعرافاً وتضع أوفاقاً لترشيد تدييرها واستغلالها بشكل لا يتعارض والمصالح العامة، فتعمد إلى التحديد المسبق لمجالات الرعي والطرق المؤدية إليها، والوقت المناسب لانطلاق القطعان نحو المراعي، والكثافة التي يمكن أن يتحملها كل مرعى، مفتوحاً كان أو محمياً (أكدال). وكانت القبيلة تعين "شيخ المراعي" الذي يعهد له بالسهر على تطبيق كل المقتضيات المتعلقة بهذه المجالات. وبسبب الرعي، نشأت نزاعات وتشكلت تحالفات وأنتجت أعرافاً منظمة، منها ما كان مكتوباً ومنها ما ظل شفهيّاً. ومن النزاعات ما كان يتم تسويته وفق قوانين المصالح المعنية للدولة. وإلى جانب الأعراف، اختلفت أساليب تديير المجالات الرعوية واستغلالها من عصر لآخر، ومن منطقة لأخرى، فمنها ما كان موضوع فتاوى ونوازل فقهية عديدة تزخر بها كتب الفقه المالكي وأدبياته، ومنها ما أصبح ينظم بالقانون في فترة الحماية وبعد الاستقلال.

عرفت بنية القبيلة خلال فترة الحماية تحولات كبيرة، حيث اضطرت ملكية القبائل للأراضي، واضطر بعض الرّحل إلى اعتماد نمط "الاقتصاد المستقر"، وبرزت أطماع للسيطرة على مراعي القبائل. أما بعد الاستقلال، فقد تحولت تلك المجالات إلى رهان سياسي بين الدولة والقبائل، وتطورت النزاعات على المجالات الرعوية بين القبائل، وبرزت خلافات بينها وبين الدولة حول تحديد الأملاك، الشيء الذي أسهم في إحداث تغيرات على مستوى الترسانة القانونية المنظمة.

إن الرعي نظام واسع لكسب العيش واستغلال الأراضي، لذا، فهو يتطلب مقارنةً متعددة الأبعاد، تتداخل فيها الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية. فالرعي يساهم، على المستوى الاقتصادي والاجتماعي، في الكشف عن أنماط عيش السكان، وتفصيل معيشتهم اليومي. كما أنه يبرز، من الناحية الثقافية، سمات الذهنيات المختلفة لمجتمع الرعاة، ويتيح بذلك مادة خصبة للباحثين من مختلف المشارب والتوجهات.

بالرغم من ظهور جملة من الإنتاجات في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية التي تناولت المراعي بالمجال المغربي، من حيث تدييرها واستغلالها، ودراسة أنماط العيش المصاحبة لها أو المتولدة عنها، إلا أن الموضوع لا يزال في حاجة لتعميق الأبحاث فيه، سواءً على المستوى النظري أو الميداني. وفي هذا الإطار، تنظم الجمعية المغربية للبحث التاريخي، بتعاون وتنسيق مع كلية الآداب والعلوم الإنسانية ببني ملال، الأيام الوطنية السادسة والعشرين، خلال شهر أكتوبر 2021، في موضوع: تديير المجالات الرعوية بالمغرب واستغلالها: مقارنة التاريخ والعلوم الاجتماعية، داعيةً الباحثين والمهتمين، من مختلف الأطياف المعرفية، للمساهمة فيها وفق المحاور الآتية:

– الرعي، والمجالات الرعوية في تاريخ المغرب؛

– الشرع والعرف والقانون، وتنظيم المجالات الرعوية؛

- المجالات الرعوية المفتوحة والمحمية، بين تدبير القبيلة وتدخلات الدولة؛
- مجتمع الرعاة، ودراسة أنماط العيش وأشكال الحياة اليومية؛
- النشاط الرعوي والتنمية بالمغرب؛
- اقتصاد الرعي: خصائصه وتحدياته.
- المجالات الرعوية: دراسات مقارنة

ويسرّ الجمعية المغربية للبحث التاريخي أن تستقبل ملخصات المهتمين ومشاركاتهم وفق الرزنامة الزمنية

الآتية:

- الإعلان عن موضوع الأيام الوطنية السادسة والعشرين: 25 أبريل 2021؛
- آخر أجل للتعبير عن الرغبة في المساهمة، وإرسال الملخص: 18 ماي 2021؛
- الرد على أصحاب الملخصات المقبولة: 29 ماي 2021؛
- آخر أجل للتوصل بالمقالات في صيغتها النهائية: 16 شتنبر 2021؛

للتواصل، وإرسال الملخصات والمقالات، يرجى اعتماد البريد الإلكتروني الآتي:

paturages.marocaines.amrh@gmail.com